١٤٥٢/٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود الإلهي

عند ابن أبي الحديد

www.ketab.ir

الدكتور رؤوف الشمّريّ

شمّري، رؤوف أحمد،
الوجود الإلهيّ عند ابن أبي الحديد / تأليف رؤوف الشمّريّ. ـ: مجمع البحوث الإسلاميّة ، ١٤٣٥ق. = ١٣٩٢ش .
٢٩٨ ص.
ISBN 978-964-971-709-8
فيپا.
١. ابن ابي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله، ٥٨٦ ـ ٦٥٥ ق. ـ نظريه درباره خداشناسي.
٢. خداشناسي. الف. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ب. عنوان.
٢٩٧ / ٩٩٨
BP ٥٥ / ٣ / الف ٢ ش ٨١٣٩٢
كتابخانة ملي جمهوري اسلامي ايران
٣٢٢٨٩٣٤

www.ketab.ir

الوجود الإلهي

عند ابن أبي الحديد

الدكتور رؤوف الشمّريّ

الطبعة الأولى ١٤٣٥ ق. / ١٣٩٢ ش. / ٥٠٠ نسخة
الثمن ٧٥٠٠٠ ريال إيراني
الطباعة: مؤسسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدسة
مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٧٧٣٣٠٢٩
www.islamic-rf.ir info@islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الإهداء

إلى شركائي في رحلة الإغتراب: زوجتي العلويّة أم مصطفى، وولدَيّ مصطفى ومرتضى، أُهدي هذا الجهد، تذكرة بهموم مشتركة.

المقدّمة

يُعدّ ابن أبي الحديد أحد أئمة الاعتزال، الذين تمتّعوا بالاحترام والتقدير خلال القرن السابع الهجريّ، وتشهد له توليته مناصب عدّة، أهمّها: كاتب ديوان الخلافة أيام المستنصر، تلك الأيّام التي كان يصفها بأنّها أيّام غرّاء زاهرة.

إنّ الجديد ليس خَلق أفكار من عدم لا أصل له، إنّما الجديد في الفكر هو أن تضيف إسهاماً إلى ما تقدّم، يستند في بنائه وقوامه إلى أصول سابقة ولاحقة. من هنا حاولتُ ـ جهد إمكاني ـ في هذه الدراسة إبراز شخصيّة ابن أبي الحديد بثوب جديد غير معروف عند أغلب الباحثين، وهو أنّه متكلّم تفلسف على قدر اجتهاده، وفق ما ظهر من قائمة مؤلّفاته واهتمامه بشؤون

www.ketab.ir

الفلسفة بحسب آرائه وتعليقاته فيها.

لكنّ من الملاحظ هنا أنّه بالرغم من عناية الباحثين الموجّهة للتراث الكلاميّ والفلسفيّ، فإنّ ابن أبي الحديد لم ينل مثل هذه العناية، بل على العكس من ذلك، نجد ضرورة الاهتمام به مفكّراً وليس شارحاً هنا، وهناك حاجة إلى البحث الدائم للكشف عن نصوصه ومتونه الأصليّة، ولذلك نلاحظ ندرة الدراسات الفلسفيّة والكلاميّة عنه من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفكر الاعتزاليّ حظي باهتمام الباحثين والدارسين نتيجة تمتّعهم بمكانة متميّزة من تاريخ الفكر الكلاميّ العقليّة في الإسلام، لكن ابن أبي الحديد لم يلق ذلك الاهتمام بدراسة مستقلّة ـ حسب علمي ـ باستثناء ما قام به الأستاذ علي [illegible] من خلال دراسة سيرته العامّة وآثاره الأدبيّة والنقديّة.

فالمعروف عن ابن أبي الحديد ـ خطأ لعدم الكشف عن سيرته بصورة دقيقة ـ أنّه أديب من خلال بعض مؤلّفاته، أمثال الفلك الدائر على المثل السائر، والقصيدة المذهّبات السبع، والمستنصريّات، ومؤرّخ من خلال شرحه على نهج البلاغة، الذي كانوا يستخرجون منه نصوصهم التي تؤيّد فكرة من أفكارهم. نعم كان متكلّماً، مستجمِعاً لكلّ شروط المتكلّم في المنهجيّة وقوّة الحِجاج، المستندة إلى موسوعيّة الفكر، واستيعاب آراء الفرق الكلاميّة السابقة عليه والمعاصرة له.

www.ketab.ir

ونحن إذ نقدّم ابنَ أبي الحديد اليوم، كشخصيّة كلاميّة، لها مكانتها في الوسط الاعتزاليّ، إنّما نكشف عن شخصيّة إسلاميّة ذات فكر عربيّ أصيل، ساهمَت في بناء صرح الحضارة العربيّة الإسلاميّة من جانب، وعقيدة الاعتزال من جانب آخر، ومن هنا كانت الحاجة إلى تحقيق جادّ ومفصّل في دراسة مستقلّة لآراء متكلّم معتزليّ مثله في الجانب الكلاميّ، فكان هذا الجهد في هذه الدراسة.

وكانت خطّتي في تناول هذه الدراسة، أن قسّمتها إلى فصول خمسة، تحدّثتُ في الفصل الأوّل عن سيرة ابن أبي الحديد الشخصيّة، تلك السيرة التي تضمّنت اسمه ونَسَبه، والخلفاء الذين عاصرهم، والعصر الذي عاش فيه، والمناصب التي تقلّدها، وأهمّ أساتذته، مع الإشارة إلى مؤلّفاته الفلسفيّة والكلامية بشيء من التفصيل، خاتماً هذا الفصل باستعراض أهمّ أفكاره الفلسفيّة والكلاميّة، التي تبيّن منها أنّه قد تناول معظم المباحث الكلاميّة المشهورة التي بحَثها ـ من قبل ـ شيوخ الاعتزال الأوائل.

أمّا الفصل الثاني، فقد تناولتُ فيه مَدرك وجوب معرفة الله تعالى: هل هو العقل أم السمع، ممهّداً له بالحديث عن الوجود الإلهيّ وضرورة الإيمان به، كما تناولتُ المعرفة الخاصّة لِذات الله تعالى.

www.ketab.ir

كما تضمّن الفصل الثالث أدلّة إثبات واجب الوجود عند ابن أبي الحديد، فقِسمٌ منها وفق مسلك المتكلّمين، مثل دليل الحدوث، وقسم آخر وفق مسلك الفلاسفة، مثل دليل الواجب لِذاته، في حين جعل دليل الحركة هو الدليل الذي انفرد به الإمام عليّ عليه السلام، ولم يسبقه أحد من المتكلّمين إليه، على حدّ تعبيره.

وكانت الصفات الإلهية الثبوتيّة ـ بقسميها: الذاتيّة والفعليّة ـ من حصة الفعل الرابع، مسبوقة بتمهيد مهمّ، استعرضتُ فيه آراء فِرق المسلمين في مسألة علاقة الصفات بالذات، مع رأي ابن أبي الحديد في مذهب كلّ فريق من فِرق المسلمين بشأن علاقة الصفات بالذات، سيّما رأيه في المعاني القديمة، التي قال: إنّ الأشعريّ وأصحابه قد أثبتوها، وتمييزه مذهب أبي هاشم في الأحوال من مذهب غيره فيها كالباقلاّنيّ والجوينيّ في أوّل قولَيه.

أمّا الفصل الخامس، فقد تناولت فيه الصفات الإلهيّة السلبيّة، التي تطرّقَت إليها كتبُ الفلاسفة والمتكلّمين، وهي تنزيه الله تعالى من الجهة والرؤية والجسميّة والحلول والاتّحاد ... إلخ، فيما سجّله ابن أبي الحديد في هذا السياق المتزلي ومن رأياً له فيه، على نحو من الأنحاء.

لقد كان ابن أبي الحديد في كلّ هذه الدراسة صاحب رأي حرّ، لا يلتزم ـ على الدوام ـ بنهج أصحابه، و هو القائل: ونحن لا ننصر مذهباً بعينه، وإنّما نذكر ما قيل، وإذا جرى بحث نظريّ

www.ketab.ir

قلنا ما يقوى في أنفسنا منه[١].

وكانت مادّة هذه الدراسة بكلّ فصولها ومباحثها، مستقاة من الموجود المتداول من آثار ابن أبي الحديد، خصوصاً شرحه على النهج، وتعليقاته على محصّل الأفكار لفخر الدين الرازيّ. أمّا خاتمة هذه الدراسة، فقد ركّزتُ فيها على ما استخلصتُه من مباحثها على نحو بيّنتُ فيه جدوى هذه الدراسة.

وكانت مصادر ومراجع هذه الدراسة ـ باستثناء ما استعنتُ به في استيضاح المسائل التاريخيّة لسيرته ومؤلّفاته ـ مصادر ومراجع فلسفيّة وكلاميّة استفدتُ منها معرفة آراء أبرز فلاسفة الإسلام، أمثال الكنديّ والفارابيّ وابن سينا والغزاليّ وابن رشد، كما استفدتُ من خلالها معرفة آراء أبرز متكلّمي الفِرق الإسلاميّة، أمثال الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسيّ من الإماميّة، والباقلّانيّ والبغداديّ والجوينيّ من الأشعريّة، في حين اقتصرَت معرفتي بآراء المعتزلة على المتداول من آثارهم؛ لندرة ما وصل إلينا من كتُبهم، من خلال أبي الحسين الخيّاط والقاضي عبد الجبّار وأبي الحسين البصري.

على أنّي لم أجد في المراجع الأوروبيّة ـ فيما يتّصل بابن أبي الحديد ـ ما يستحقّ التنويه في هذا المجال.

---

١. ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٥- ١٩٦٥، ١٦/ ٢٣٤.

www.ketab.ir

ولابدّ لي هنا أن أشير إلى أنّ جلّ اعتمادي في إعداد هذه الدراسة، كان على المصادر القديمة والميسّرة، التي بذلتُ الجهد المضني للحصول عليها قدر المستطاع، ذلك أنّ تدوين الحقائق يحتاج لأقرب مصدر له صلة بهذه الحقيقة أو تلك، وإلّا تراني مضطراً للرجوع إلى المراجع الحديثة. وقد اضطررتُ في أحيان كثيرة إلى الاقتباسات المطوّلة من ابن أبي الحديد، لبيان آرائه والمحافظة على أصولها، لذا أستميح القارئ الكريم عن ذلك؛ لأنّ من غير النافع إعادة صياغة أقواله متى تعذّر عليّ ذلك.

وختاماً أقول: إنّ هذه الدراسة تنتظر من أهل الاختصاص الكشف عن وجوه النقص التي ربّما أحاطت بها من دون قصد، سواء في المنهجيّة أو عرض الأفكار، فالكمال للكامل وحده سبحانه، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ [النساء: ٨٢].

وصدق الله العليّ العظيم

www.ketab.ir